تفسير إبن كثير

* تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض كما قال : (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) [الإسراء : 55] وقال هاهنا : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) يعني : موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك آدم ، كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه (ورفع بعضهم درجات) كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في السماوات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل .فإن قيل : فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفى موسى على

العالمين . فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال : أي خبيث وعلى محمد صلى االله عليه وسلم ! فجاء اليهودي إلى رسول االله صلى االله عليه وسلم فاشتكى على المسلم ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " لا تفضلوني على الأنبياء ؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور ؟ فلا تفضلوني على الأنبياء " وفي رواية : " لا تفضلوا بين الأنبياء " .فالجواب من وجوه :أحدها : أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل ، وفي هذا نظر .الثاني : أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع .الثالث : أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر .الرابع : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية .الخامس : ليس مقام التفضيل إليكم وإنما هو إلى االله عز وجل ، وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به .وقوله : (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) أي : الحجج والدلائل القاطعات على صحة ما جاء بني إسرائيل به ، من أنه عبد االله ورسوله إليهم (وأيدناه بروح القدس) يعني : أن االله أيده بجبريل عليه السلام ثم قال تعالى : (ولو شاء االله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من

كفر ولو شاء االله ما اقتتلوا) أي : بل كل ذلك عن قضاء االله وقدره ; ولهذا قال : (ولكن االله يفعل ما يريد)